أَمِيْرَةُ إِيْلِيْد

أشخاص المسرحية

أميرة إيليد

أَكْلائت : إبنة عمّ الأميرة.

سيْنتي : إبنة عمّ الأميرة.

فيليس : مرافقة الأميرة.

إيفيتاس : والد الأميرة.

أُوريال : أمير إيتاك.

اريسْتومان : أمير ميسان.

ثيوكْل : أمير بيال.

أَرْبات : وكيل أمير إيتاك.

موررون : مُعْجَب بالأميرة.

لِيكاس : مرافق إيفيتاس.

أشخاص الفواصل الستّة

التي تتخلّل فصول المسرحية الخمسة.

الفجر

ليسيكاس : حارس.

ثلاثة خدّام

ساتير : أحد الرعيان.

تيرْسي
كالامين } : راعيتان

الفاصل الأوّل

المشهد الأول

حكاية الفجر

الفجر : عندما يعرض الحب مناظر الطبيعة الخلاّبة أمام عيونكم، ابتهجوا ايها العشاق الظرفاء، ولا تأْبَهُوا لهذا التشامخ المتمرّد الذي يزيّنه لكم الغرور، وأنتم في عمر الورود تنشدون ألْحان الهيام، وتقدّسون أواصر الودّ والوفاء. ثمّ تنشّقوا عبير الوَلَه والحرّيّة، وَتَحَدُّوا اللائم الحقود، فالقلب الرقيق لا يعرف القسوة، وينال إعجاب الجميع، ويَسْمُو بشعائر الإخلاص، إذْ ليس أروع في الكون من المودّة المتواضعة.

المشهد الثاني

الموسيقيون والخدم

الخادم الأول: إنهضوا، إنهضوا وهيّوا إلى الصيد المنظّم ورتّبوا كلّ أموركم. هيّا، قفوا بسرعة وسيروا إلى الأمام. فقد طلع النهار، وتهادت الشمس على أديم السماء.

الخادم الثاني : ها هي النسمات تتلاعب بالأزهار، ولآلئها تلمع كالأضواء المتوهّجة..

الخادم الثالث : وأخذ البلبل يُنشد ترانيم الصفاء ببهجة، كأنه يحيّي الطبيعة ويسبّح باري الكون.

الثلاثة معاً : هيّا، هيّا أسرعوا الى الأمام. (يكلّمون ليسيكاس الذي كان نائماً) : ما هذا، يا ليسيكاس ؟ ما بك ؟ إستيقظْ. ها قد بزغ الفجر وانتشرت الأنوار في كل الأرجاء. هيّا انهضْ، وبادرْ الى الصيد المنظّم، فلا بدّ من إعداد كل الأمور. إنهضوا جميعاً، إنهضوا واسرعوا..

ليسيكاس : (وهو يستيقظ) : بربّي، أنتم مجتهدون نشيطون. وأراكم تفتحون عيونكم على العمل باكراً، وكلّكم حيوية وانتباه..

الموسيقيّون : ألاَ ترى الشمس قد تألّقتْ في كبد السماء ؟ هيَّا، يا ليسيكاس، هيَّا.

ليسيكاس : أرجوكم أن تتركوني أنام أيضاً بعض الوقت.

الموسيقيّون : لا، لا. عليك أن تهبّ واقفاً، يا ليسيكاس.

ليسيكاس : أنا لا أطلب منكم سوى منحي ربع ساعة من الزمن.

الموسيقيّون : كلاّ، ثم كلاّ. هيّا انهضْ.

ليسيكاس : أرجوكم ...

الموسيقيّون : هيّا انهضْ.

ليسيكاس : لحظة، من فضلكم.

الموسيقيّون : كلاّ.

ليسيكاس : ألْتمسُ منكم ...

الموسيقيّون : لا، يتحتّم عليك أن تنهض حالاً.

ليسيكاس : إرحموني.

الموسيقيّون : كلا. إنهض.

ليسيكاس : أُريد أن ...

الموسيقيّون : لا، لا، لا.

ليسيكاس : أمهلوني لحظةً ...

الموسيقيّون : كلاّ، ثم كلاّ. هيّا الى النهوض، يا ليسيكاس، واسرع الى الصيد. عليك أن تهيّئ كل المطلوب منك. هيّا عجِّلْ.

ليسيكاس : دعوني أنهضْ على مهل. انتم قوم غريبو الأطوار كي تُضايقوني هكذا، وتسبّبوا لي الإنزعاج طوال النهار بهذا الإلحاح السَمِج. أنا لا أزال مفتقراً الى النوم، لأنه ضروري لا غنى عنه للانسان. وإلاّ تراكمتْ عليَّ المتاعب والكوارث ...

الخادم الأول : يا ليسيكاس ...

الخادم الثاني : يا ليسيكاس....

الخادم الثالث : يا ليسيكاس ...

الثلاثة معاً : يا ليسيكاس إنهضْ ...

ليسيكاس : إذهبوا إلى الجحيم، أيّها الصاخبون. كم أتمنى أن تلتهمكم ألْسنة اللهيب.

الموسيقيّون : إنهضْ، إنهضْ. قفْ على رجْليْك أيها الكسلان، وعجّل ...

ليسيكاس :. لقد هدّ التعب قواي، وقلّة النوم قَرَّحَتْ عينيَّ.

الخادم الأول : يا دجّال.

الخادم الثاني : يا منافق.

الخادم الثالث : يا كسلان.

الثلاثة معاً : يا شيطان.

ليسيكاس : ها، ها، ها. أتمنّى أن يقضي عليكم الطاعون، أيها الصاخبون. وليمسخْني إبليس إذا لم أُحطِّم رؤوسكم الفارغة. ألاَ ترون كيف تضايقونني، أيها الرعاع ؟ من دعاكم الى تمزيق طبلة أُذُني هكذا بصراخكم، أيها الملاعين.

الموسيقيّون : هيا انهضْ.

ليسيكاس : عدتمْ الى نغمتكم المرهقة.

الموسيقيّون : هيّا أسرعْ.

ليسيكاس : أُمضوا الى جهنّم، أيها المزعجون.

الموسيقيّون : هيّا، هيّا، قمْ الى العمل أيها الكسلان.

ليسيكاس : (وهو ينهض) : هكذا تتصرّفون حيالي كل مرة تذهبون أثناءها

الى الصيد. هذا حقًّا مزعج للغاية. الآن وقد استيقظت، عليّ أن أُوقظ الآخرين. هيّا بدوركم أنتم أيضاً، أيها السادة، استيقظوا وانهضوا. هيّا أسرعوا الى الصيد المنظَّم، ولا بدّ من إعداد كل ما يلزم. هيّا انهضوا، انهضوا. فقد استيقظت أنا ليسيكاس ونهضْت، وجاء الآن دوركم، يا كسالى، إنهضوا.

الفصل الأول

المشهد الأول

أُوريال، وأَزْبات

أَزْبات : هذا السكوت الحالم الذي لم نتعوَّدْه يدعوكم في كل لحظة الى البحث عن الوحدة والإنفراد. وهذه التنهّدات الطويلة التي تفلت من أعماق صدوركم، وهذه الأنظار الشاخصة المتعَبَة تبوح بأُمور كثيرة لمن هو في مثل عمري، وأنا أظنّ، يا سيدي، أني أسمع لأول مرة هذه اللغة الغريبة عني. ولكن، بدون أن أستأذنكم، وخوفاً من أن تكون مغامرتي هائلة، لا أجسر على شرح غوامضها لكم.

أُوريال : فسِّرْ لنا، يا أزْبات، بكل حرِّيّة هذه الآهات وهذه النظرات الشاردة وهذا السكوت العميق. فأنا أسمح لك هنا بأن تقول كيف فرض الحب عليّ شريعته وتحدّاني بدوره في عقر داري، ولو لم أحملْك على الخجل من ضعف قلبي المعذَّب الذي يأبى الخضوع والإذعان..

أزبات : أأنا أُلومك، يا سيدي، بسبب عواطفك الرقيقة، وميل قلبك الولهان ؟ إن أحزان الأيام السالفة قد أضنت فؤادي وعذّبني لهيب الحب، وكاد يحرق أنفاسي، وإن كانت أيّامي قد أشرفت على المغيب. لذا لا أنكر أن الهوى يليق بأمثالك، وأن نور المحيّا الجميل يُبهج فؤادي. لكنه لا يُحيي آمالي، كما يُلهب عواطفك الفتيّة. فَهِمّة الشباب، يا أيها الأمير، لا تزال تملأ

جوانبك، والكرم ينبع من بين ضلوعك. فإن الهوى أروع عاطفة وأنبل فضيلة يتحلّى بها الانسان. وها هي مُهَج الأبطال تتهدابى فوق ذرى المجد والحب والعطاء. فهيّا، يا صديقي، الى أعاليك لتسرح في آفاق العزّ والهناء التي تليق بشخصك الكريم. بينما أنا المسكين أندب حظي العاثر وأجرّ أذيال الخيبة في دنيا العشق بين طيّات ظلام تعاستي، راجياً لك دوام العزّ طوال عمرك المديد، أيها الأمير المفدّى.

أوريال : إذا كنتُ تحدّيْتُ زمناً جبروت الهوى، يا عزيزي أرْبات، فها هو الآن ينتقم منّي، وقد عرف أن قلبي غارق في وهدة سحيقة، أنت لا ترضاها أن تكون مثواي الأخير، بعد أن علمت بأني أهيم بحب أميرة إيليد. أنت تعرف كبرياء هذه الصبيّة البهيّة الطلعة التي تتحاشى زمرة العشّاق، وهم يحاولون الاستيلاء على عواطفها، ولا تجهل قوّة الجاذب الذي يهيمن على عواطفنا. فأنا عند رجوعي من « أرْغوس » مررت بهذه الإنحاء، فلفت إنتباهي بهاء أميرة إيليد، بكل ما تتمتّع به من جمال الخلقة وسموّ الأخلاق. واستحوذت على مشاعري وبعين خيالي أبصرت شواطئ « إيتاك » البعيدة التي مضت عليّ سنتان بدون أن أشاهد أراضيها الواسعة. وقد بلغني وأنا في بلاطي كيف تنظر هذه المرأة الشابّة الى الزواج بحقد وكره شديد. وكيف تجوب الغابات الفسيحة مسلّحة بالقوس والسهام، لا تعشق من ملذات الحياة سوى الصيد. لذلك جعلتْ شبّان الأغريق ينتهدون حسرة على روعتها المهيبة .ومصيرها الحزين في تشبّثها بمقاطعتها الزواج. وهذا ما دفعني الى التعلّق بها والسعي الى امتلاك فؤادها وحمّسني على قهر برودها واستمالتها اليّ دون سواي. وقد بلغني أنّ والدها إيفيتاس يجمع حوله لفيفاً من أمراء الإغريق ليختار لها منهم عريساً ملائماً.

أرْبات : ما الفائدة، يا مولاي، من الإحتياطات التي تأخذها ؟ ولماذا التكتّم الذي تتمسّك به. تقول إنك تحب هذه الأميرة الممتازة، وقد جئت لتنال الحظوة في عينيها بدون أن تعلن من جهتك عن حبك ولهفتك. أنا من جهتي لا أفهم هذه السياسة الملتوية. ولن أحاول أن أفهم الخطط التي يلجأ اليها العشاق لتحقيق أمنياتهم وأحلامهم، لأني أجهل ما هي الوسائل

التي يستخدمها المحبّون لبلوغ مرامهم في يوم من الأيام.

أوريال : ما العمل، يا أربات ؟ فأنا عندما اشكو ضناي لا ينوبني سوى ازدراء هذه الصبية المتشامخة، وأزجّ نفسي بين العديد من الامراء الخاضعين لأهوائها. وها هما ملكا ميسان وبيال يقدّمان على مذبح غرامها قلبيهما كضحية غير مقبولة، ويعرضان أمسى فضائلهما رخيصة لتصبح عند قدميها كنفايات مهملة لا تتنازل وتلتفت اليها. فأرجوك أن تصون حبي من عنف أهوائها، ما دمت أقرأ في نظراتها حُكْماً مبرماً على قلبي بالهلاك المحتَّم.

أربات : انتبهْ، يا صاح، فانك باحتقار عنفوانها وبالاهتمام بنيل رضاها لن تفوز بكسب عطفها بل تزيدها بروداً لقاء حرارة تعلّقك بشخصها المتعالي. ولن تصل الى مرامك مهما تذرّعت بالصبر الجميل والإمتثال الى رغباتها المتعدّدة فأنت لا تملك سحراً فعالاً أكثر مما لدى أُولئك الأمراء المغرمين بتيه دلالها والمعجبين مثلك بروعة حسنها.

أوريال : كم يلذّ لي أن أسمع من فمك الإشادة بما يجيش بين حنايا ضلوعي من ميل جامح لا يخضع لأي عقل راجح. وبما انك تودّ أن أصارحك بما يجول في خاطري، عليك، يا أرْبات، أن تُطلع الأميرة على ما أقاسيه من عذاب في هواها. وأنت تعلم أنها ذهبت عند بزوغ الفجر الى الصيد حين نوى مُورون أن يفاتحها نيابةً عنّي بما يكوي فؤادي من لواعج ولهي بها ...

أربات : ذكرتَ اسم مورون، يا مولاي ؟.

أوريال : قد يدهشك هذا الاختيار، لما يبدو احياناً على هذه الانسان من دلائل الهوس. فإنه رغم الانجازات التي حققها، لا يزال حِسُّه أوعى من الذين ينتقدونه ويتحاملون عليه. فالاميرة تعجبها نكاته وفورات مرحه ومزاحه التي تحبّبه اليها وربما اقنعتها على طول المدى بصدق مودّته وغزارة مواهبه، عساها تجد في شخصه الرفيق المناسب الذي يؤنس لياليها الموحشة وهي معتصمة في وحدتها. إسمح لي، يا صديقي، أن أحاول بواسطة ما يمهّده المال من سبل الفرج أن أتوصّل الى بلوغ ما تتوق اليه أشواقك من تحقيق احلامك الذهبية.

المشهد الثاني

مورون، وأربات، وأوريال

مورون (بدون أن يراه أحد) : النجدة، النجدة. أنقذوني من هذا الوحش الضاري.

أوريال : يخيَّل إلي أني أسمع صوتاً.

مورون (بدون أن يراه أحد) : من فضلكم، خلّصوني، أغيثوني.

أوريال : هذا هو بعينه. الى أين هو مسرع هكذا، والرعب يبدو على محيّاه.

مورون : كيف يتسنّى لي أن أنجو من هذا الخنزير البرّي ؟ أيها الآلهة انتشليني من أنيابه الهائلة. أعدكِ بأن أحرق في سبيلك أربع مكاييل من البخور وأن أضحّي بأسْمن عجلَيْن لديَّ، إن أنقذتِني، وإلاّ هلكتُ لا محالة.

موريال : ما بك ؟.

مورون : ظننتك وحشاً مفترساً أطلّ عليّ بشدقَيْه المريتَيْن. يا إلهي. إني لا أتمالك نفسي من الفزع.

أوريال : ماذا تقول ؟

مورون : مزاج الأميرة غريب محيِّر، وإذا تابعنا مسيرة الصيد في هذه الأجواء المقلقة، سنفاجَأ حتماً بالمزعجات. أية متعة يجد الصيادون في تعريض ذواتهم إلى ألْف مصدرِ خوف. هذا إذا اكتفوا بصيد الأرانب والغزلان، هذه الطرائد اللطيفة التي تهرب أمامهم. ولكنهم يتورّطون بالسعي وراء البهائم الرهيبة الخبيثة التي لا تهاب الإنسان بل تهاجمه بوحشية منقطعة النظير.

أوريال : أنا لا أعلم أيّة لذة يلاقون في هذه المجابهة الخطرة ؟

مورون : (وهو يلتفت) : إنه حقًّا لتمرين شاقّ. بربّك، ماذا يُحبّب الأميرة المدلّلة بمثل هذه الغرائب : كسباق العربات في هذا النهار المكفهرّ ؟ كان علينا أن نتحمّل تقلّبات الطقس أثناء هذا الصيد المرهق الذي نفّرنا من مفاجآته ... لكنْ، أُسكُتْ ... لنعد الى قصّتنا. أين وصلنا في هذا الموضوع ؟.

أوريال : كنت تتكلّم عن تمرين شاقّ.

مورون : نعم، ما أفظع هذه المهمّة. وأنا في الصيد متعثّر الحظ من أول النهار الى آخره. واذا بي أبتعد عن كل رفاقي لأبحث عن زاوية هادئة تحت شجرة وارفة أستسلم في ظلّها الى النوم بعض الوقت. ثم إهتديت الى المكان المناسب لأغط في نوم مريح. لكن خنزيراً برّيّا باغتني وروّعني ...

أوريال : ماذا تقول ؟.

مورون : أجل، هذا لم يزعجني بمقدار ما كان ينتظرني من مفاجآت. إقترب لعلّ روعي يهدأ قليلاً فأتمكّن من سرْد باقي القصّة على مسمعك. لقد شاهدت الخنزير البرّي الذي ،كان صيّادونا يطاردونه. وهو منكّس الرأس مفتوح الشدقين، بارز الأنياب، ينطلق كالسهم ... لك أن تتصوّر وضعي وأنا أمامه معرّض للغارة التي يشنّها عليّ. لكن الحيوان المسرع هاجمني حين كنت أنحني لألْتقط من الأرض سلاحي الذي سقط من يدي بسبب شدّة فزعي.

أرْبات : وانتظرته أنت بأقدام ثابتة ؟.

مورون : تبًّا لحماقتي. لقد رميت كل ما كان في يديّ، وهربت بأقصى السرعة.

أربات : هل حقًّا هربت من الخنزير البرّي، ومعك سلاح تستطيع أن تقتله به ؟ إعترفْ بأنّ هذا تصرّف غير مشكور.

مورون : لا أخالفك بأنه عمر غير مقبول. ولكن، ما كان بامكاني أن أفعل غير ذلك.

أربات : لو كنت سريع الخاطر لاستطعت ...

مورون : إشملني بحلمك، يا عزيزي. أنا أفضّل ألْف مرة أن يُقال عني إني هربت، على أن يقال رحمة الله عليّ أنا مورون، لأني لم أفرّ من أمام الخنزير البري. نعم أنا أفضّل ألْف مرة أن لا يقال عني : إن مورون أظهر شجاعة نادرة في مجابهة الخنزير، فقتله الخنزير، رحم الله مورون رحمة واسعة.

أوريال : حَسَن جداً.

موررون : نعم، نعم. أفضّل الفرار لأعيش يومين بسلام في هذه الدنيا، على أن أدخل التاريخ لدى آلاف السنين قبل الأوان.

أوريال : في الحقيقة كان موتك كدّر صفو عيش الأصدقاء. لكن قلْ لي الحقيقة : ألاَ يزال فؤادك يتقلّى على نار الغرام ؟

موررون : يتحتّم عليّ، يا مولاي، أن أخفي عنك أني لم أفعل شيئاً بعد، ولم أجد متّسعاً من الوقت لأكلّمها كما أشاء. وموضوع غرامك شائك، ولدى الأميرة قضيّة دولة هامة جداً. وفي رأسها سياسة معقّدة بعد أن أعلنت الحرب على الزواج. وهي تنظر الى الحب نظرة إرتياب كأنه نمر يريد أن ينقضّ وينشب أظفاره وأنيابه في الضحية التي تغامر وتواجهه في هذا الميدان البغيض. دعني أُبلغها برويّةٍ ما أعرفه عنك من لباقة وبُعْد نظر، علّني أُوفّق الى تقريب وجهات النظر المتباينة بينكما. أنت تعلم كم كانت أمّي في صباها رائعة الجمال، وكم كان محيطها متشبّثاً بالتقاليد الموروثة. وكم كان المرحوم والدك أميراً كريماً سخيّ الكفّ. وكم كان أبـي، « ألْبينور » رجلاً مقداماً نبيل الأخلاق حائزاً على احترام الجميع في وسطه. وإذ احتاجا كلاهما يوماً الى وساطة، تقدّمتُ أنا لبذل جهودي ... ولكن، ها هيذا الأميرة مقبلة ومعها اثنان من منافسيك.

المشهد الثالث

الاميرة (وحاشيتها)، واريستومان، وثيوكْل، وأُوريال، وأَربات، وموررون

اريستومان : هل يسعكِ، يا مولاتي، أن تتجاهلي ما لسحر عينيك من تأثير على هذَيْن الشابَيْن الشهمَيْن ؟ لقد اعتقدتُ ان قتْل الخنزير البرّي كان مغامرة مسلّية، ونحن نجهل أنك خارجة الى الصيد. ولكني لقا برودك هذا كان عليّ أن أشعر بعاطفة مغايرة لأني لا أودّ أن أقابِل معاكسة حظي العاثر بإهانة لا أقصدها.

ثيوكل : أمّا أنا، يا مولاتي، فأعترف لك بأن إسعادك هو أعزّ أماني قلبي، ولا أريد أن تقودني أيّة مغامرة الى ازعاج خاطرك العزيز. لذا مهما كلّفني الأمر سأظل طوع بنانك.

الاميرة : وهل تظن، يا مولاي، أني بحاجة الى الإلحاح لكي أفرض مشيئتي التي يتفانى الجميع في تلبيتها حالما أَلَمّح الى رغبتي تلميحاً، لكي يجوب كل الرجال كافة الجبال والوديان والغابات لتأمين راحتي وسلامتي، أثناء خروجي الى أي صيد كان. وأنا مصرّة على النجاح في اصطياد الغزلان والخنازير البرّيّة الوحشية على السواء، رغم ما يتّصف به جنسي اللطيف من النعومة واللباقة. فأرجوك، يا مولاي، أن تعلمني ما كانت نتيجة صيد الخنزير في هذا اليوم المشؤوم، واحْسَبْني أحد الدخلاء المتطفّلين.

ثيوكْل : ولكن، يا مولاتي ...

الاميرة : ارى انك تريد إقناعي بأني مدينة لك بحياتي. أنا لا أُنكر ذلك، وإلاّ كنت جاحدة، لا أقدّر فضلك عليّ. فأشكرك من كل قلبي على إغاثتك. ولن أتأخّر عن إطلاع الأمير والدي على هذه المنّة الفائقة التي طوّقت بها عنقي، أيها الفارس الشهم المفضال.

المشهد الرابع

أُورْيال، ومورون، وأَزْبات

مورون : هل شاهدت رجلاً اكثر حماقة من هذا الذي يمتعض لمقتل خنزير برّي شرس ؟ كم كنت أنا أغدقتُ عليه المكافآت والهدايا لقاء تصرفه النبيل.

أزْبات : أراك كثير التفكير في هذا الأمر الغريب. ولكن لا شيء يستطيع أن يقف أمام رغباتك، يا مولاي. ستأتي ساعتها، وسنعرفِ كيف نصون كرامتك، ونضطرها الى الاعتذار.

مورون : لا بدّ لها من أن تدري بحبك قبل أن تذهب، وأن ...

أوريال : لا، لا، يا مورون. أريد أن لا تفوه أنت بكلمة، وأن تدعني أحكّ جلدي بظفري. فقد قررت الآن أن أسلك طريقاً مخالفاً لدربها. لأني أرى أنّ اتجاه عواطفها هو عكس ما أصبو أنا اليه. ولكي أتغلّب على ما يعترض سبيلي من عقبات، عليّ أن ألْجأ الى طرق جديدة مجدية. وأملي كبير في بلوغ مرامي قريباً.

أزْبات : وهل لي، يا مولاي، أن أعرف الى أين تذهب بك آمالك وأحلامك ؟.

أوريال : سترى، يا عزيزي، بدون إمهال، فهيّا. فقط عليك أن تلازم الصمت بعض الوقت.

الفاصل الثاني

المشهد الأول

مورون

مورون : الى اللقاء. أنا باقٍ هنا. ولي حديث قصير مع هذه الاشجار والصخور. فيا أيتها البراري والينابيع والأزهار، أودّ أن أعلمك بأني أعشق حبيبتي « فيليس » وقد تعلّق بها قلبي، وأنا أُشاهدها تَحْلُب بقرتها، ويداها ملوّثتان حليباً فازداد بياضهما. ومجرد هذه الفكرة تسحر لبّي الآن. يا « فيليس »، يا « فيليس » أين أنتِ ؟ إن أمرك حقاً لعجيب غريب.

المشهد الثاني

دبٌّ، ومورون

مورون : يا سيدي الدبّ، أنا خادمك الأمين. فأرجو أن تشفق عليّ. أؤكّد لك أنْ لا غذاء في جسمي لكي تفترسني. فأنا جلد وعظم ولا أُشبعك، بل أرى أنّ هناك أشخاصاً يلائمونك أكثر مني لتتغذّى بلحومهم. فارجوك أن تنصرف عني، يا سيدي الدبّ أنت دافئ الفِراء، رشيق القوام، ميّاس القدّ، تتلوّى يميناً ويساراً كأنك تؤدّي أحلى الرقصات. عيناك برّاقتان، وأنفك

صغير، وفمك ظريف، وأظفارك ناعمة. فألتمس منك أن تبتعدك عني سريعاً وتتركني وشأني. وإلاّ، يا الهي، وجدتني هالكاً لا محالة.

(يظهر بعض الصيادين)

يا سادة، اشفقوا عليّ وارثوا لحالي. أرجوكم أن تقتلوا هذا الوحش المفترس. شكراً لكم. ها هو قد فرّ، لأن أحدكم قد لطمه على رأسه. غير أنه توقّف، وراح يهاجمكم. هيّا، يا أصدقائي، ادفعوه عني بقوّة. ها هو قد سقط أرضاً على وشك أن يفارق الحياة. هيّا نضربه مئة ضربة. الآن قُضي علي. أكرر لكم شكري الجزيل، وأهنئكم على هذا الإنتصار.

الفصل الثاني

المشهد الأول

الاميرة، وأكْلانْت، وسِينْتي

الاميرة : أجل، أنا أحبّ أن أمكث في هذه الأمكنة الهادئة الجميلة. إذ ليس في ربوعها إلّا ما يبهج النفس، وكذلك في جميع قصورنا المزيّنة بأروع الزخارف التي تُضاهي جمال الطبيعة في أيام الربيع، من أشجار وصخور ومياه وعشب أخضر، وكلّها تشدّني إليها بحسنها الفائق.

أكْلانْت : أنا أيضاً نظيرك أُحبّ هذه المناظر الفتّانة، وأقصدرها لأرتاح في كنفها من زحمة المدينة وضجيجها، وأمتّع انظاري بما تحفل به من الروائع المدهشة التي تزيّن باب « أُلِيس » حيث يلتقي الهاربون من الصخب لينعموا بسكون هذه العزلة الممتازة بعد عناء المدينة وإرهاقها هنا يتأمّل كلّ أمير بعظمة الكون، ويرتاح نظرك بفخامة عربات السباق التي تستحقّ أن تطيل الشخوص بعينيك الى تنسيقها الفريد.

الاميرة : لماذا كل منهم يلتمس حضوري ؟ ماذا عليّ أن فعل لألبّي حبّ استطلاعهم ؟ وكلّهم يسعَوْن الى نيل رضاي وامتلاك قلبي العطوف ؟ وكم تزداد دهشتي إذا لم يتوصّل أحدهم الى استمالة عواطفي.

سِينْتي : الى متى سيظل قلبك النفور يتمرّد على طالبي ودّه الأبرياء الذي يبذلون بدون جدوى كل ما يملكون من جهود ؟ أنا لا أجهل كم يقاوم

قلبك الخُضُوع والإستسلام الى النزوات العابرة. لأنه يبغي أن يحتلّه العاشق الولهان الى الأبد. ولسوء حظي، أنا لا أَقوى على التراجع أمام عنفوانك وصمودك لدى ردّ عواطفي خائبة. أنا الجدير بكسب مودّتك واستدرار حنوّك. لأني لا أستطيع العيش بدون حبّ، وقد ملأ هواك شغاف قلبي.

أكْلانت : أؤكّد لكم أن أنبل عاطفة في الوجود هي الحب والسعي الى تحقيق السعادة، وإلّا أضحت كل مباهج الحياة باهتة، لولا الحب الذي يُضفي عليها زهو المودّة وروعتها.

الاميرة : هل يسعكما كلاكما ان تتلفّظا بهذه الكلمات الحكيمة ؟ بدون ان تحمرّ خدودكما حياءً وانتما تساندان هذا الهيام الخاطئ الذي يدل على الضعف والإنسياق والفوضى والقرف وكافّة النزوات التي لا تشرّف جنسنا اللطيف. أنا مصرّة على التمسّك بالإباء حتى آخر لحظة من حياتي، ولا أنوي أبداً أن أخضع لأهواء المستبدّين المتعنّتين. فكل الدموع والتنهدات، وكل الثناء والتبجيل لا تبرّر جبانتهم. وأنا حين أنظر الى أمثالهم من أصحاب الدناءات الجشعة التي تحطّ من قدر الاشخاص مهما كانوا أقوياء ان أسمع إقرارهم بالعجز عن التغلّب على تسكّعهم وخجلهم.

سِينْتي : يا مولاتي، هناك نقاط ضعف يرزح تحت وطأتها الإنسان وإن بلغ أعلى ذرى السلطة والمجد. فأرجو أن لا تغيّري يوماً أفكارك. وإن شاء الله نسمع قريباً بأن قلبك مال ...

الاميرة : كفى. لا تتابعي الإندفاع وراء أمنيتك الغريبة. فأنا أكره هذا النوع من الإنحطاط، وإنْ قُدِّر لي أن أنحدر عن مستواي، فلن أغفر لنفسي هذا الإنحراف الفظيع.

أكْلانْت : حذار، يا مولاتي، فالحب يعرف كيف ينتقم لكرامته المهدورة، وربّما ...

الاميرة : لا، لا. أنا أتحدّى هذا النزعة والسلطة الواسعة التي ينسبونها اليه، وما هي في الحقيقة إلّا وهم باطل، وحجّة واهية تتذرّع بها أصحاب القلوب الضعيفة، فينعتون الحب بالقويّ الذي لا يُقهَر، ليُضْفُو السلطة والجبروت على عواطفهم الهزيلة التي تجرفهم الى هاوية الغرام.

سِينْتي : لكن، لا تنسَيْ أن الجميع يعترفون بقوة الهوى وسلطانه، حتى ان الآلهة ذاتها قد خضعت أمام سطوته. وها هو الإله « المشتري » قد جعله العشّاق المزعنون لأهوائهم خاضعاً هو أيضاً مراراً عديدة لمشيئة الإلهة ديانا، التي تشيدين بعظمتها، وتسيرين على خطاها، هي التي لم تخجل من ارسال آهات الهيام والحسرة.
الاميرة : لا تنسَيْ أن معتقدات عامّة الشعب حافلة بالأخطاء. مع أن الآلهة من طينة غير طينة البشر، ونحتقرها عندما ننسب اليها ضعف طبيعة الانسان.

المشهد الثاني

مورون، والاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس

اكْلانْت : هيّا اقترب، يا مورون. تعالَ وساعدنا في الدفاع عن الحبّ من تعسّف مشاعر الاميرة الجائرة.
الاميرة : ها قد انضمّت اليك قوة لا يستهان بها للدفاع عن وجهة نظرك.
مورون : صدّقيني، يا مولاتي، أنا أعتقد أنْ لا سبيل إلى إضافة حرف على ما قيل نّي، ولا الى ذمّ سلطة الحب الغالبة دائماً. فلقد جابهت طويلا هذه العاطفة وبذلت جهدي كغيري. لكن إبائي انهزم أخيراً لأن مولاتك قد روّضت كبريائي وجعلت عنفواني طيّعاً كالحمل الوديع. فامتثل نفوري الرافض ونُفّذ رغباتها بعد أن سيطرت على قلبي في ميدان الغرام. وكما انجرفت أنا أمام هذا السيل المتدفّق، لم يسلم سواي من الغرب.
سينْتي : ماذا تعني ؟ هل إنساق مورون في تيّار الحب والهيام ؟
مورون : نعم أنا أيضاً غُلِبْتُ على أمري.
سينتي : وأنت أيضاً مِلْتَ مع نسمات الهوى.
مورون : ولماذا لا ؟ لماذا أقاوم ؟ أَوَلَسْتُ أهلاً لما يغدقه عادةً على البشر من بهجة وهناء ؟ أعتقد أن هذا الوجه الجميل يستحقّ الإعجاب، وأنّ

طلعته البهيّة، والحمد لله، هي من أسمن النِعَم التي لا اتنازل عنها لأي انسان.
سينتي : بدون شكّ، تكون مخطئاً إذا ...

المشهد الثالث

ليكاس، والاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس، ومورون

ليكاس : يا مولاتي، سيأتي والدك الأمير الى هنا ليزورك، وهو يصطحب أمراء بيال، وإيتاك، وميسان.
الاميرة : يا إلهي. ماذا يقصد بجلبهم إليّ ؟ هل ينوي أن يدبّر هلاكي بإجباري على اختيار أحدهم كزوج ؟

المشهد الرابع

الأميرة، وأوريال، وأريستومان، وثيوكْل، والأميرة، وسينْتي، وفيليس، ومورون

الأميرة : يا مولاي، أسألك أن تسمح لي بقول كلمة لأعبّر عن الأفكار التي تجول في بالي. هناك حقيقتان، يا مولاي، كلتاهما ثابتتان، أودّ أن أؤكدهما لك : الأولى هي أنّ لك عليّ السلطة الأبوية المطلقة، ومهما أمرتني به، لمن أوجب الواجبات عليّ أن أطيعك طاعة عمياء. والثانية هي أني أنظر الى الزفاف نظرتي الى الموت الزؤام، وأنّ من رابع المستحيلات أن أتغلّب على كرهي الطبيعي هذا. فإنْ أرغمتني على الزواج فكأنك حكمت عليّ بالأعدام. ولكن مشيئتك هي بالنسبة إليّ أُولى الأُولويّات وإطاعتي أوامرك

هي أعزّ أُمنياتي وأغلى من حياتي. بعدئذ تكلّم، يا مولاي، واحكمْ عليّ كما تشاء بالموت أو بالحياة.

الامير : يا بنيّتي الحبيبة، أنتِ مخطئة إنْ أصبحت حذرة الى هذا الحدّ. وأنا غير مرتاح الى تفكيرك هذا الذي يحدو بك الى اعتبار إرادة أبيك مجحفة بحقّك هكذا. وأنتِ تُسيئين بهذا العنف الى عواطفك الغريبة عن أمثالك الصبايا اللواتي يحلمن بالحب والزواج. أتمنّى أن تنجلي الحقيقة لعينيك وأن ينفتح قلبك لحبّ أحد الشبان النبلاء الذين تأبى شهامتهم ومروءتهم إلّا اسعاد فؤادك المتلهّف للسعادة. إذْ لا بدّ في طول بلاد الإغريق وعرضها من وجود الرجل الذي يستحق أمانتك وسموّ أخلاقك. فأنا أَلْتمس من السماء أن تمنّ عليك بالهناء الذي يوفّره لك الزواج الصالح، واتمنّاه لك من صميم قلبي. ولكي استمطر هذه النعمة عليك قدّمت في هذا الصباح بالذات ذبيحة للإلهة فينوس. وعلى ما فهمت جيداً من الآلهة، فقد وعدتني إلهة الجمال هذه أن تجود علينا بمعجزة خارقة. على كل حال مهما حصل، أنا مصمّم على التصرّف حيالك كأب حكيم إذ يهمّني بالدرجة الأولى هناؤك وسعادتك، يا ابنتي العزيزة، بصرف النظر عن كل مصالح مملكتي وما تجرّه العلاقات الاجتماعية عليّ من مغانم اذا كانت لا تؤول الى تأمين رضاك وسلامتك قبل كل شيء. وما أطلبه منك هو أن تكوني أكثر مسايرة ولياقة في تعاطيك مع زوّاري بدون أن تضطريني الى الإعتذار عن برودتك وقلّة اكتراثك. أرجوك أن تعاملي هؤلاء الأمراء بما يستحقّون من البشاشة والإكرام والتقدير لقاء ما يقدّمونه كل من الإحترام والغيرة على هنائك، وأن ترافقيني الى ميدان السباق حيث كل منهم يودّ أن يُظهر لك براعته وجرأته واكرامه.

ثيوكْل : الجميع يسعون الى بذل كل جهودهم لإحراز قصب السباق. ولكني، في الحقيقة، قلي الحماس لفوزي أنا، ما دام قلبك ليس المكافأة المتنازَع عليها.

أريستومان : أمّا أنا، يا مولاتي، فلا أطمح إلّا الى جائزة واحدة هي فؤادك العزيز عليّ، وأنا مستعد أن أبذل قصارى جهدي للفوز به في هذه المباراة

التي تبيّن مهارة المتسابقين. ليتك تعلمين كم من الاهميّة أعلّق على الفوز في هذه المباراة التي آمل فيها بأن أحوز على بهجة تقريبي الى قلبك العطوف وشملي برضاك الذي أعتبره غاية المنى.

أورْيال : أمّا أنا، يا مولاتي، فلست من هذا الرأي مطلقاً. وبما أني أعلنت دوماً إنني غير ميّال الى الحبّ، فإن اهتمامي ينصرف الى ما لا يهدف إليه سواي. فأنا لا أبغي امتلاك قلبك لأن الفرح الوحيد الذي أرمي إليه في هذا السباق هو الغاية التي أسعى اليها كما قلت لك. (يغادرها وينصرف).

الاميرة : من أين أتى بكل هذا الشموخ البغيض الذي لم أكن لأنتظره. فيا أيتها الاميرات، ما رأيكنّ بمثل هذا الامير الغريب الأطوار ؟ هل لاحظتن بأيّة لهجة متعجرفة حدّثنا هذا المتشامخ ؟.

اكْلانْت : لا شكّ لدي أن في اعتداده بنفسه بعض التطرّف.

مورون : ما اروع الجزمة التي يلبسها في رجليه.

الاميرة : ألاَ ترى أنّ الأجدر به أن يُخفّف من حماسه وتفاخره وأن يراعي ظروف قلوب بنات حواء التي تجاوره ؟.

سينتي : بما أنكِ معتادة أن لا تتلقي إلّا عبارات الثناء والتقدير من أفواه الجميع حُقّ لك أن تندهشي من المديح الذي صدر عنه بدون مبالاة.

الاميرة : لا أخفي عنك أن حديثه قد ضايقني. وأني أتمنّى أن يتسنّى لي تذليل كبريائه وعجرفته. وكم وددت أن لا أشاهد هذا السباق، غير أني أُصرّ الآن على الذهاب خصّيصاً لحضوره، وأن أبذل كل جهودي لأثير عواطفه وأشواقه.

سينْتي : حذار، يا مولاتي، فالمهمّة خطيرة. إذ عند تحريك العواطف لا يسلم المرء من تحمُّل القسم الأكبر من فورة الشهوات التي تضطرب جذورها في أعماق الأنسان.

الأميرة : ارجوك أن لا تخشى أي طارئ. هيّا، أنا كفيلة بعدم المبالاة بأي تحريض كان.

الفاصل الثالث

المشهد الأول

مورون، وفيليس

مورون : هل تنوين، يا فيليس على البقاء هنا ؟.

فيليس : كلاّ. دعْني أرافق سائر الحاضرين.

مورون : تبًّا لك من قاسية. لو كانت تيرْسيس هي التي ترجوك أن تذهبي معها لقرّرت فوراً بقاءك هنا لمشاكستي.

فيليس : قد يجوز أن أفعل ذلك. وأنا موقنة بأني أُسَرّ بمرافقة هذا وذاك على السواء. لأني أرتاح الى صوتهما. بينما نقيقك كالضفادع يخدّش أذني. وحين تنشد مثل غيرك أعِدُك وعداً قاطعاً بأن أستمع إليك حتماً.

مورون : لا بدّ لك من المكوث ولو قليلاً.

فيليس : لا أستطيع.

مورون : أرجوك.

فيليس : لا، لا، أبداً.

مورون : لن أدعك تذهبين.

فيليس : ما هذا الكلام ؟.

مورون : لا أطلب منك إلاّ البقاء بصحبتي لحظةً.

فيليس : سأبقى معك، اذا وعدتني بتنفيذ أمرٍ ما.

مورون : ما هو ؟.
فيليس : أن لا تتكلّم بتاتاً.
مورون : ما هذا الطلب الغريب، يا فيليس ؟.
فيليس : وإلّا، لن أبقى بمعيّتك لحظة واحدة.
فيليس : هل تريدين أن ...
فيليس : دَعْني أتصرّف.
مورون : إبقي، فلن أنبس ببنت شفة.
فيليس : كن على حذر. ولدى أوّل كلمة تنطق بها سأفرّ هاربةً.
مورون (يأتي بحركة مسرحيّة) : كما تشائين، يا فيليس. آه منك. أتهربين، ولا يسعني أن أُمسك بكِ ؟ إسمعي جيداً ما أقول لك : لو كنت أعرف الغناء لهان الأمر. فأغلب نساء اليوم يقعن في شراك الحب عن طريق السمْع. لذلك تراهنّ السبب في جعل الجميع يميلون الى الموسيقى، ولا يَلْقى أي رجل حيالهنّ ذرّة من الإعجاب إلّا بعد أن ينشد بعض الأشعار الغزلية بحضورهن. لذا أنا أنوي أن أتعلّم الغناء لأكون نظير غيري. ها هو ذا الرجل الذي أنتظره.

المشهد الثاني

ساتير، ومورون

ساتير : لا، لا، لا..
مورون : يا صديقي ساتير، هل تذكُر ما وعدتني به منذ زمن طويل ؟ أرجوك أن تُعلّمني الغناء.
ساتير : لا مانع عندي. لكنْ قبل ذلك أَنصِتْ الى هذه الأغنية التي ألّفتها منذ هنيهة.
مورون : هو معتاد على الإنشاد، ولا يسعه أن لا يتكلّم عن فنّ سواه. هيّا أَنشِدْ، وأنا كلّي آذان صاغية لسماعك.

ساتير : كنت أحمل ...
مورون : أنت تكلّمت عن أغنية.
ساتير : كنت أحمل ...
مورون : تبًا لك. أنشِدْ أغنيةً غراميّة.
ساتير : كنت أحمل في قفصٍ،
عصفورين التقطتهما،
عندما جعلتِ الصبيّة كلوريس
بعض الزهور تتلألأ
في إناء قاتم اللون،
وانعكس بريقها على محيّاها
لكن، يا للاسف، ذكرتُ عصفورَيْن
عندما وقعت عليهما لمحة من عينيها
فانبعث من لحظها سحر تسلّط عليهما
تعزّيا أيّها العصفوران الصغيران
فالذي التقطكما اضحى سجيناً مثلكما
لدى سماع زقزقتهما اللطيفة العذبة
أنشدا وعدّدا أوصاف جمال حبيبتي
أجل غنّوا جمعكم أيها العصافير
لأن آلامي المبرّحة قاتلة.
ولكن إذا ما غضبت هذه القاسية
عند سرد حكايتي الصادقة المواسية
التي تروي العذاب الذي أعانيه بسببها.
اسكتي، أيتها العصافير، وكفّي عن الإنشاد.
مورون : ما اروع هذه الأغنية، أرجوك أن تعلّمني إيّاها.
ساتير : لا، لا، لا..
مورون : لا، لا، لا.
ساتير : فا، فا، فا.
مورون : فا، فا. تبًّا لك أيها الغبي الأحمق.

الفصل الثالث

المشهد الأول

الاميرة، وأكْلانْت، وسينْتي، وفيليس

سينْتي : صحيح، يا مولاتي. هذا التصرّف قد أبرز مهارته غير العاديّة، والهندام الذي بدا فيه أدهش الجميع للغاية، إذْ كان الفائز في السباق. غير أني أشكّ كثيراً بأنح حصل على القلب الذي حلم بامتلاكه. لأنك جعلت من الصعب على ملامحه أن توضح تعابيرها، وبدون التطرّق الى سائر شؤونه. وكان لروعة رقصك وعذوبة صوتك الرخيم أثر بليغ يليّن أقسى القلوب.
الاميرة : ها هوذا يخاطب مورون، وسنطّلع منه، ولو قليلاً، على ما كانا يتداولانه هكذا باهتمام، دَعْهما يُكملان حديثهما، ولنسلك هذا الدرب كي نلاقيهما في الطرف الآخر من الطريق.

المشهد الثاني

أُوريال، ومورون، وأرْبات

أوريال : لا أُنكر أني ابتهجت جداً، وأنّ عينيَّ وأُذُنيَّ لم تستمتعا هكذا قبلاً مثل الآن. صحيح انها محبوبة في كل زمان ومكان، لكنها الاضن

فاقت كل ما تحلّت به في الماضي، وجمالها تعدّى جميع الحدود في الروعة والكمال. ولم يزهو محياها بمثل هذا اللون الوردي، ولا بدت عيناها بمثل هذا السحر الأخّاذ، ولا كان لنظراتها هذا التعبير البليغ. لقد ارتدّت عذوبة صوتها، طابعاً رخيماً كأنه صادر عن حنجرةِ ملاك جهوريّة تشدو بعظمة السماء وأمجاد الأرض. وها هي نبرات ألْفاظها الناعمة تخترق أعماق نفسي وتملأ شغاف قلبي المتيَّم بهواها. وإذا بحركاتها الرشيقة تتجاوب مع ما ينبض في عروقي من حماس وأشواق واندفاع نحو قدّها الأهيف وقامتها المتناسقة، كأنها منحوتة من رخام صافٍ تتفاعل جاذبيّتها ألْف مرة بين ضلوعي، لما فيها من قوّة لا تُقهَر، ترمي بقلبي ملوَّعاً عند قدميها، كما يجثو المتعبّد الخشوع أمام إلهة قديرة.

مورون : ارجوك أن تَحْذَرها، يا مولاي، اذا أردت أن تظلّ مالكا نفسك. فلقد اكتشفتُ مخلوقة أخرى، أعتقد أنها تناسبك أكثر منها. فالنساء في هذا العالم يشبهن الغزلان الغريبة الأطوار. إنْ دلّلناهنّ أفسدناهنّ بألطافنا. فيتمرّدن ويحاولن السيطرة على شعورنا، بينما يجب علينا نحن أن نتغلّب على كيدهنّ ونتحكّم بعواطفهنّ تماماً بعكس ما نظهره لهن من الاحترام والمسايرة كما يفعل سائر الرجال.

اربات : يا مولاي، ها هيذا الأميرة تبتعد عن حاشيتها وتتّجه نحونا.

مورون : كنْ حازماً وسِرْ بأقدام ثابتة في الدرب الذي تسلكه. وسأسمع قريباً ما ستقول هي لي : في هذه الأثناء تنزَّه قليلاً في المماشي الخضراء المزهرة. وتظاهرْ بعدم الإكتراث لما في نفسك من رغبة الإجتماع بها. وإذا صادفتها أمكثْ معها أقلّ فترة ممكنة.

المشهد الثالث

الاميرة، ومورون

الاميرة : أنت صديق حميم، يا مورون، تربطك بأمير إيتاك أوثق العلاقات.

مورون : نعم، نحن على صلة قديمة، يا مولاتي، وتجمعنا مودّة وثيقة.

الاميرة : أخبرني، لماذا لم يأتِ الى هنا، وسلك طريقاً آخر حالما أبصرني ؟.

مورون : لأنه رجل غريب الأطوار، لا يرتضي إلّا الاكتفاء بأفكاره وآرائه.

الاميرة : هل بلغك ما أغدقه عليّ من الثناء منذ برهة ؟.

مورون : نعم، يا مولاتي، سمعته بأذني، ووجدته يخرج قليلاً عن المألوف بجسارته. فأرجوك أن تغضّي الطرف عنه، يا صاحبة السموّ.

الاميرة : أنا لا أخفي عنكَ، يا مورون، أن تهرّبه قد أزعجني وأنا أودّ من كل قلبي أن أتبادل الحديث وإياه، لكي أُخفّف قليلاً من تشامخه.

مورون : لن تكوني مخطئة، يا مولاتي، بل أجد أن تصرفك هكذا هو عين الصواب. لأنه يستحقّ الصدّ والجفاء. غير أني أكتمك أني أخشى أن لا يكون النجاح حليفك.

الاميرة : ماذا تقول ؟.

مورون : أقول إنه أقوى مكابر عنيد، وأسوأ مشاكس صلب العود، إذْ يُخيَّل إليه أنه الوحيد في هذه الدنيا يحوي كامل الصفات والخصال الحميدة.

الاميرة : على كل حال، أَلَمْ يحدّثكَ عنّي ؟.

مورون : هو ؟ أبداً، يا مولاتي.

الاميرة : ألم يكلّمْك عن إعجابه بصوتي وبرقصي ؟.

مورون : على الإطلاق. لم ينطق بكلمة واحدة قط.

الاميرة : أجل، هذا ازدراء مزعج، وأنا لا أطيق تحمُّل مثل هذا المتشامخ المتجبّر الذي لا يعجبه العجب.

مورون : هو لا يقدّر ولا يحب إلّا نفسه.

الاميرة : سأفعل المستحيل لأُخضع عنفوانه لمشيئتي كما أشتهي.

مورون : لا تنسَيْ، يا مولاتي، أنّ ليس في جوارنا رجل قادر على الصمود أكثر منه.
الاميرة : ها هو يقترب منّا.
مورون : أُنظريه كيف يسير بدون أن ينتبه أو يلتفت إليك.
الاميرة : من فضلك، يا مورون، إذهبْ ونبهه الى وجودي ها هنا، واستدرجْه للمجيء اليّ.

المشهد الرابع

الاميرة، وأوريال، ومورون، وأرْبات

مورون : يا مولاي، جئت لأُعْلِمكَ أن كل الأمور تسير على ما يُرام. وها هي الأميرة تتمنّى عليك أن توافيها. ولكن، لا بدّ من أن تتابع القيام بدورك كما ينبغي، وخشية أن تنسى ما عزمت عليه، يجب أن لا تطيل وجودك معها.
الاميرة : اراكِ تحبّ العزلة هذه الأيام، يا مولاي. وهذا مزاج غير مأنوس منك، يا صاحب السموّ. إذ ليس من طبعك أن تتجنّب هكذا جنسنا اللطيف، وأن تتهرّب منه، وأنت في عمر الورود، تنعم بهذه اللياقة واللباقة والوسامة التي يحسدك الجميع عليها.
أوريال : هذا المزاج، يا مولاتي، ليس في الحقيقة خارق العادة، وليس ممّا يعزّ وجوده في هذه الديار. فأرجوك أن لا تحكمي عليّ هكذا بقسوة، وتستائي من تفضيلي الوحدة أحياناً بدون أن تحسبي حساباً لعواطفك أنتِ أيضاً.
الأميرة : الفرق شاسع بين ما يليق بجنس النساء ؟ ولا يليق بجنس الرجال. أوَلاَ ترى أنّ من المستحسن أن تكون المرأة حسّاسة، وأن تحفظ طهارة قلبها من أدران الهوى وتَحْتَرس من الإحتراق بلهيبه. وأنت أدرى الناس

بأنّ الإباء والتمنّع في الواقع فضيلة تتحلّى بها المرأة، بينما يمسي نقيصة بل جرماً يصِم الرجل بالعار. وكما أن الجمال يزيّن جنسنا الناعم، ولا يجدر بنا أن نحبّ بدون أن نستحقّ ما نحبّذه من إكرام وتقدير، طبعاً بدون أن نسبّب إحراجاً نندم عليه ربما مدى العمر.

أورِيال : أنا لا أرى، يا مولاتي، موجباً لإظهار أي اهتمام بالهوى من قِبَل من لا ترى أية فائدة في مثل هذا الحَرَج.

الاميرة : هذه ليست حجّة، يا مولاي. فأنا لا أرى من مانع أن تقتبل الحب من لا تريد أن تقع هي نفسها في شباك الهيام.

أورِيال : من جهتي، لست من هذا الرأي بتاتاً. وفي وضعي أنا الذي لا أرغب في أن أكون مُحِبًّا، يُغيظني جداً أن أكون محبوباً.

الاميرة : وما السبب ؟.

اوريال : علينا واجبات نحو من نحبّ، وأنا لا أقبل أن أكون عقوقاً.

الأميرة : وبما أنك ترفض أن تكون جاحداً، عليك إذاً أن تحبّ من يُحبّك.

أورِيال : أنا، يا مولاتي، لا أقبل بذلك أبداً. أكرّر أني آبى أن أكون جاحداً أُنكر أيّ فضل عليّ، لكنّي أفضّل مع ذلك أن أكون عقوقاً على أن أحبّ أي شخص كان.

الاميرة : ربما أَحَبَّكَ هذا الشخص، فهل يطاوعك قلبك أن ...

أورِيال : كلاّ، يا مولاتي، ليس في الكون من يستطيع امتلاك قلبي. فحرّيّتي المطلقة هي السيدة الوحيدة التي تسيطر على مصيري. وعندما تمنّ السماء عليّ بمن يتجلّى فيها البهاء الكامل، وتُجسّد في نظري أروع نفس في أحلى جسد، ويتبيّن لي أنها تمثّل أصفى ذهن وأبرع مهارة وأرقى حُسْن، وأنّ هذه المخلوقة الحاوية كل الحنيّة والرقّة واللطافة التي يمكن أن يتصوّرها الرجل، أعترف لك بكل صراحة أنني سأهواها بكل جوارحي.

الاميرة : وهل هذا مستطاع في دنيانا غير الكاملة ؟.

موررون : تبًّا للتجبّر الوقح. كم أتمنى أن أُنزل به ضربة قاضية.

الاميرة (تُكلّم ذاتها) : ما حيلتي بمثل هذا المتكبّر العنيد الذي لا أجد سبيلاً الى إذلال عنفوانه ؟.

مورون (يخاطب الامير) : تشجّع، يا مولاي. فهذا أفضل ما نطقت به.
أوريال : آه، يا مورون، لم أعد أطيق صبراً، رغم كل الجهود التي أبذلها.
الاميرة : هذا يدلّ على فقدان الإحساس بشكل لم يسبق له مثيل. لأن حديثك تعدّى كل حدود المنطق السليم.
أوريال : ما حيلتي أنا، وقد جبلتني يد الباري من هذه الطينة الجافّة. لكن يا مولاتي، أود أن أقاطع نزهتك، لأني أشعر ضمناً بأنكِ بتِّ تميلين مثلي الى الوحدة والانفراد.

المشهد الخامس

الاميرة، مورون، وفيليس، وتيرْسيس

مورون : هو لا يفوقك كثيراً، يا مولاتي، في مجال قسوة القلب.
الاميرة : أنا مستعدّة لأن أتنازل عن كل خيرات الدنيا، لكي انتصر عليه وأُذِلَّ كبرياءه.
مورون : أنا أُقدّر موقفك، يا مولاتي.
الاميرة : فهل لك، يا مورون، أن تساعدني على ذلك.
مورون : أنتِ على يقين، يا مولاتي، بأني دوماً في خدمتك.
الاميرة : كَلِّمْه اذاً عني في سياق أحاديثك، وامتدحْ له مهارتي، وبيّن له عراقة نسبي وحَسَبي، وحاول أن تهزّ عواطفه بأحلى الوعود والآمال. وأنا أسمح لك أن تقول ما يحلو لك للوصول الى حَمْلِه على النظر اليّ بعين الرضى والإعجاب.
مورون : دعيني أتصرفْ.
الاميرة : أنا مُصرّة على بلوغ أَرَبي في هذا الميدان. وأرجو بكل إلْحاح على إيقاعه في شراك حبي.
مورون : هذا اللعين في الحقيقة يحوي كل الصفات الحسنة. فهو وسيم

جذاب أنيق لبق يليق فعلاً بأحلى أميرة تمتاز بالجمال الرا ع والأخلاق الحميدة.

الاميرة : أخيراً يمكنك أن تأمل بالحصول على كل ما تطلبه مني، إذا وجدت سبيلاً الى جعل فؤاده يهيم بحبي.

مورون : ليس من أمر مستحيل على دهائي. لكن، يا مولاتي، إذا افترضنا أنْ أحبّكِ، قولي لي ماذا يكون موقفك إذ ذاك حياله ؟.

الاميرة : حينئذٍ سأبتهج وأتلذّذ بانتصاري عليه وإخضاع غرورة لمشيئتي، وأعاقبه على البرود الذي قابلني به، فأُذيقه طعم الجفاء والصدّ والقسوة التي ستخطر ببالي إزاء تجبّره وتمرّده عليّ أنا التي يتزاحم الجميع على نيل رضاي والحظوة في عينيّ.

مورون : كوني على يقين، يا مولاتي، بأنه لن يستسلم بسهولة.

الاميرة : آه، يا مورون، لا بدّ من اخضاعه لإرادتي، لا بدّ.

مورون : لا، لا. هذا غير ممكن. فأنا أعرفه حق المعرفة، وأعتقد أن كل المساعي في هذا السبيل ستذهب هباءً منثوراً في مهبّ الرياح.

الاميرة : علينا أن نحاول بكل الوسائل ان نصل الى مبتغانا. وسنرى ان كان قلبه قد قُدَّ من الصخر الأصمّ. هيَّا، أنا أودّ أن أخاطبه وأن أحاول تحقيق خطةٍ فعّالة خطرت الآن ببالي.

الفاصل الرابع

فيليس، وتيرسي

فيليس : تعالي، يا تيرْسي. ها هما ذاهبان. والآن أخبريني عما يعذب قلبك. منذ مدة طويلة أرى في عينيكِ ما تريدين أن تصارحيني به، وأنا كلّي آذان صاغية لسماعك.

تيرسي (تنشد) : أنتِ الآن تستمعين إليّ
والحزن يسحق فؤادي
أجل قلبي غير مطمئنّ
يا أحلى حلوات زماني.
ها أنا أُوصل صوتي الى اذنيْكِ
بدون أن أتمكن من دخول قلبَكِ

فيليس : هيّا أكملي. لقد بلغ غناؤك مسمعي، وهذا ليس بالأمر اليسير. وها هي الأيام تمهّد السبل لحصول المعجزة. فانشيدين شكواكِ ونجواكِ وما يُخالج فؤادك من شجون وهموم.

المشهد الثاني

مورون، وفيليس، وتيرْسي

مورون : ها قد أمسكتُ بخناقكِ، أيتها المحتالة. أنت تبتعدين عن الجماعة لتستمعي الى ما ينشده خصمي ومنافسي.

فيليس : نعم، ابتعدت لهذه الغاية. وأعترف لك مرة اخرى بأني أُسَرُّ بصحبته. وكم يلذّ لي سماع شكوى العشاق المتيّمين حين يُعلنون هموم غرامهم بهذه الفصاحة والصراحة. فلماذا لا تُغنّي أنت مثله لكي أُصغي اليك بشوق فائق ؟.

مورون : واذا كنتُ لأ أحسن الغنا؛ فأنا أُتقن فنًّا آخر. وحين ...

فيليس : أُصمتْ، أريد أن أُنصِت الآن اليها هي. قولي لي، يا تيرْسي، ما تشائين أن تُسمْعيني إياه.

مورون : آه منك، يا قاسية.

فيليس : قلت لكَ أُسْكُتْ، أو أستاء منكَ وأحنق عليكَ.

تيرْسي : أيتها الاشجار العارية، وأنتِ أيتها البراري الجرداء،
برد الشتاء قد جرّدك من كل ثيابك الخضراء.
لكن الربيع لن يلبث أن يعود، ويكسوك زهواً وبهاءً.
إنّما نفسي الحزينة ستظل محرومة من البهجة والهناء
لأن حبيبي هجرني وكاد أن يسفك مني الدماء.

مورون : تبًّا لي أنا المحروم من الصوت البديع. لماذا بخلت عليّ أيتها الطبيعة القاسية بصوت حنون أعبّر فيه عن أساي، كما يفعل سائر المحبين ؟.

فيليس : في الحقيقة، يا تيرْسي، ليس أروع من التغلّب على جميع اخصامكَ.

مورون : لكن، لماذا لا أستطيع الغناء ؟ أوَلَيْسَ لي من روايا، ومن حنجرة، ومن لسان كسائر المخلوقات ؟ أجل، أجل. هيّا، أُريد أن أُنشد أنا أيضاً، وأبرهن لكِ أنّ الحب يجترح المعجزات. ها هيذا أغنية أَلّفتها لأجلك.

فيليس : هيّا، أسمعني ألحانك. أودّ أن أُشنّف أُذُنيَّ بصوتك الذي قلّ أن يصدح بأنغام الهوى والشباب.

مورون : عليّ إذاً أن أتشجّع. وعليكِ أنتِ أن تعتصمي بالصبر الجميل.
مورون (يُنشُد) :
تسلُّطكِ على قلبي
يرهق إحساسي
آه، يا فيليس، حبك أرهق أنفاسي
فتنازلي الى مواساتي. لكن،
هل تقوَيْن إلاّ على سلبي
نعمة الحياة من بين ضلوعي ؟
ألاَ حيّي معي، أنا مورون، إنشادي هذا الذي يُحاكي شدْوَ البلبل الصدّاح.
فيليس : هذا أفضل ما سمعتْه أُذُناي. ولكن، يا مورون، كم أفضّل التغنّي بفضائلي على أن يموت شخص في سبيل غرامي. فهذه حَسَنَة لم أتمتع بمثلها حتى الآن. وأنا أشعر في أعماق روحي بأني أُحبّ أيّ انسان يرتضي الموت في سبيل هواي.
مورون : هل حقًّا تحبّين أي شخص يموت في سبيل هيامه بك ؟.
فيليس : نعم. وما الغرابة في ذلك ؟.
مورون : وهل هذا شرط أساسي لكي ينال إعجابك ؟.
فيليس : كلاّ..
مورون : هذا قول يريح ضمير السذّج فقط. وسأبرهن لك أني أعرف كيف أموت عندما أشاء أنا، لا حين يشتهي لي ذلك سواي.
تيرسي (تنشد) : ما هذه الحلاوة الجارحة، الكامنة في موتٍ يرضي الحبيب ؟
مورون : ارجوك أن تهتمّي بما يعنيك، وأن تَدَعيني أقتل نفسي على هواي كما يحلو لي. هيّا، أريد أن أفوق كافّة العشاق. فأنا لست من أُولئك الذين يتكلّفون ويتصنّعون. أُنظري الى هذا الخنجر المرهف الحدَّيْن. كيف سأغرزه في صدري (يسخر من تيرسي). أنا خادمك الأمين : تبًّا لغباوتي وحماقتي.
فيليس : هيا يا تيرْسي. تعالَيْ واشرحي لي ما غنّيْتِ لي من أقوال، لأني لم أفهم تماماً ما ترمين اليه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

أوريال، والاميرة، ومورون.

الأميرة : أيها الأمير، كم بدا منّا حتى الاضن من التوافق في عواطفنا ؟ كأن السماء شاءت ان تزيد تعلّقنا بحريتنا، ونفورنا الشديد من الحبّ. فأنا مرتاحة لأنْ أفتح قلبي وأبوح لك بسرٍّ تبدّل ميلي الذي سيفاجئك. لقد نظرت دوماً الى الزواج كنير ثقيل مرهق، وأقسمت أن أغادر هذه الحياة، بدون أن أتنازل عن حرّيتي المطلقة. ولكن مرّت بي لحظة عجيبة حملتني على الاستغناء عن هذه الحرية العزيزة لقاء حنان لم أكن أرجوه. والفضل يعود في ذلك الى الأمير الذي فتح اليوم عينيَّ على حقيقة كنت أجهلها. فحدثت المعجزة وأصبحتُ مرهفة الحسّ إزاء ما يحفظه لي من العواطف النبيلة التي كنت أزدري بها. لقد وجدت أسباباً كي أسمح لنفسي بهذا التغيير المباغت، ويمكنني أن أدعمها بالرغبة في استجابتي التماس أبي، وأُمنيّةِ دولةٍ بكاملها. لكني في الحقيقة مستاءة من الحُكْم الذي أصدرته بحق ذاتي، وأودّ أن أعرف إذا كنت أنت تدين أو لا تحبذ الزواج هكذا.

أوريال : يسعكِ أن تختاري من تشائين، يا مولاتي. وأنا أوافق على قرارك بدون أيّ تردّد.

الاميرة : بمن تنصحني اذاً ان يقع عليه اختياري ؟.

أوريال : لو كنت داخل قلبك، لكنت أرشدتك الى من ؟ غير أني لست فيه ولا أستطيع أن أشور عليك.

الاميرة : يسعك أن تحزر، وتسمّي لي من تراه مناسباً.

أوريال : أخشى كثيراً أن أُخطئ في ذكْر الشخص المرغوب.

الاميرة : على كل حال، من تتمنّى أن أعلن عن تفضيلي إياه كعريس أحلامي ؟.

أوريال : أنا أعرف جيداً في الواقع، من أتمنى أن يكون هذا العريس. ولكني قبل أن أُسمّيه، أودّ أن أعرف رأيك.

الاميرة : لا مانع عندي، أيها الامير، من إعلانه لك. وأنا واثقة بأنك ستوافق على اختياري. ولكي لا أدعك تنتظر اكثر مما فعلت، أقول لك بصراحة إنّ أمير ميسان هو الذي يستحقّ أن يكون بطل أحلامي.

أوريال : يا إلهي.

الاميرة (بصوت خافت) : لقد نجح ابتكاري هذا كل النجاح، يا مورون، وها هو مضطرب النفس.

مورون (يخاطب الأميرة) : حَسَن، يا مولاتي. (يخاطب الأمير) : تشجّع، أيها الامير. (يخاطب الاميرة) : لقد وقع صاحبنا في الفخّ. (يخاطب الأمير(: لا تكترثْ لهذا الأمر.

الأميرة : ألَا ترى أن الحق الى جانبي ؟ وأن هذا الأمير يستحق مثل هذا الإختيار.

مورون (يخاطب الأمير) : استفقْ من ذهولك، يا صاح، وفكّر في الجواب. ماذا دعاك، أيها الامير، الى هذا السكوت التام ؟ أراك في غاية الدهشة.

أوريال : في الحقيقة جاءت المباغتة مذهلة، يا مولاتي. وأنا أتساءل كيف خَلَقَت السماء كائنَيْن متشابهَيْن في كل النواحي نظيرنا، وعواطفنا متطابقة، وقرارنا يتحدّى سلطان الحب، وفي الوقت عينه نبدي كلانا سهولة غير منتظرة للوصول الى نتيجة واحدة محيّرة. لأني، يا مولاتي، ومثالك يسمح لي بهذا التصريح المدهش، إذ لا أُخفي عنك أن الهوى ملك اليوم فؤادي، وأن إحدى جاراتك الأميرة، أعني الحسناء أَكْلانْت قد ملأت فراغ قلبي،

وأضحت محجّة آمالي وقبلة امنياتي. أنا سعيد، يا مولاتي، بمثل هذه المعادلة بيني وبينك في تبديل أفكارنا. ولم يعد لديّ أدنى شكّ في صواب اختيارك الجدّي، كما ارتحتِ أنت أيضاً الى اختياري الملائم. ولا بدّ لهذه المعجزة من أن تظهر للملأ، لأنها غمرت قلبينا معاً بالفرح والسرور. فأنا أتمنّى، يا مولاتي، أن تكوني راضية على من ستصبح من نصيبي وشريكة حياتي، وأن تسمحي لي بالذهاب الى والدك الأمير لطلب يدها منه.

مورون : ما أنبل شهامتك، وما أطيب قلبك الكريم.

المشهد الثاني

الاميرة، ومورون

الاميرة : آه، يا مورون، لم أعد أتحمّل أكثر من هذا. فالضربة التي لم أكن أتوقّعها قد تغلّبت كليًّا على صمودي وإصراري المعهود.

مورون : لا أنكر أن هذا النبأ فاجأني، وقد اعتقدت أن خطّتك قد نجحت تماماً.

الاميرة : لقد حدث هذا التباين حقاً بعكس كل ما توقّعته. ولا أُصدّق ان صبيّةً غيري قد ظفرت بحبّه الذي كنت أنا أنوي امتلاكه.

المشهد الثالث

الاميرة، وأَكْلانْت، ومورون

الاميرة : لي عندك رجاء، أيتها الأميرة أَكْلانْت، ولا بدّ ن أن تستجيبيه إكراماً لي. أمير إيتاك يحبّك ويريد أن يطلب يدك من والدي الأمير.

أَكْلانْت : هل ذكرتِ أمير إيتاك، يا مولاتي ؟.

الأميرة : نعم. هو بذاته أكّد لي أمنيته هذه، وقد سألني أن أساعده على تحقيق رجائه. غير أني ألتمس منك أن ترفضي هذا الطلب، وأن لا تُصْغي الى ما يمكنه أن يقوله في موضوع كهذا.

أكْلانْت : لكن، يا مولاتي، إن كان صحيحاً ما يريده هذا الأمير، وأنه يحبّني حقيقةً، لماذا تطلبين مني أن أُخيّب أمله ؟

الاميرة : لا، يا أَكْلانْت. أنا أَلْتمس منك هذه المنّة، وأرجوك أن تلبّي رجائي. واعلمي أني بسبب رفضه حبّي، أُصرّ على حرمانه من تحقيق أعزّ أمانيه، وهي أن تُزفّي إليه.

أكْلانت : يا مولاتي، عليّ أن أطيع أمرك. لكني أعتقد أن امتلاك قلبٍ كهذا سعادة لا يسعنا أن نرفضها، ولا نبالي بها.

المشهد الرابع

أريستومان، ومورون، والاميرة، وأَكْلانْت

اريستومان : يا مولاتي، جئت أشكركِ على رغبتك في مساندة ميلي وشعوري وعدم رضاك على مسايرة منافستي، وأنا أطوع من بنانك، إذْ أَلْتمس مباركتك أغلى أُمنياتي.

الاميرة : ماذا تقول ؟ أَوْضِحْ.

اريستومان : أمير إيتاك، يا مولاتي، أكد لي منذ برهة انك تعطّفت وأعلنتِ عن اختيار عريسك المرتقب الذي مال اليه قلبك بين شبّان سائر أنحاء بلاد الإغريق.

الاميرة : وهل ذكر لك أني أنا قد أخبرته بذلك ؟.

اريستومان : نعم، يا مولاتي.

الاميرة : هو شاب طائش. وأنت تسرّعتَ، أيها الامير، في تصديق النبأ الذي نقله اليك. يبدو لي أن تصديق مثل هذا الخبر يتطلّب التريُّث بعض

الوقت للتثبُّت من صحته، كما يجدر بك أن تفعل حتى إن سمعته من فمي أنا بالذات.

اريستومان : يا مولاتي، إن كنتُ حقًّا تسرّعت في تصديقه ...

الاميرة : من فضلك، أيها الأمير، لنكفّ حالاً عن مواصلة النقاش، واذا شئت أن تُسدي إليّ معروفاً، أرجوك أن تسمح لي بدقيقتَيْن أخلو أثناءهما بنفسي منفردةً في التأمُّل بهذا الموضوع الخطير.

المشهد الخامس

الاميرة، وأكْلانْت، ومورون

الاميرة : ما أغرب هذه المغامرة. وكم تعاملني السماء بصرامة محزنة. على الأقلّ تذكّري، أيتها الأميرة أكْلانْت، ما رجوته منك في هذه القضية بالذات.

أكْلانْت : كما قلت لك سابقاً، يا مولاتي، عليك أن تسايري الظروف.

مورون : لكن، يا مولاتي، لو كان هذا الأمير يهواكِ، لما قبلت أنا به. ومع ذلك لا تريدين أن يكون لسواكِ. ألاَ تجدين هذا غير معقول على الإطلاق ؟.

الاميرة : كلاّ، لا أُطيق أن يكون خصمي هذا سعيداً بصحبة امرأة غيري. ولو تحقّق هذا الزفاف، لَمُتُّ قهراً وكمداً.

مورون : لا بدّ من الرضوخ للامر الواقع، يا مولاتي. فقد كنت تودّين أن يصبح شريك حياتك. وفي جميع تصرفاتك حياله ليس من الصعب أن نلاحظ ما كنتِ تحفظينه لهذا الرجل من الحب السافر رغم محاولتك إخفاءه بدون جدوى.

الاميرة : أأنا أحبّه ؟ يا الهي. أأنا أهواه ؟ كيف بلغت بك الوقاحة الى التلفّظ بهذه الكلمات المغضبة ؟ هيَّا أُغرب من وجهي أيها المستهتر، ولا تُرِني صورة وجهك بعد الآن..

مورون : يا مولاتي ...

الاميرة : قلت لك : إنسحبْ من هنا فوراً. وإلّا أجبرتك على اخلاء هذا المكان بطريقة اخرى.

مورون : لقد وصلني حقّي. وأنا أستحقّ اكثر من ... (يلتقي نظره بنظر الاميرة فيضطر الى الانسحاب).

المشهد السادس

الاميرة

الاميرة : ما هذا الإحساس المجهول الذي يغمر قلبي ؟ وما هذا الإضطراب الخفي الذي يُقلق طمأنينة نفسي ؟ أوَلاَ يكون صحيحاً ما قيل لي منذ لحظة، وبدون أن أكون على علم به، إن هذا الأمير الشاب ليس من نصيبي ؟ آه، لو كان الأمر حقيقة ملموسة، لتبيّن لي أني لا أستطيع أن أُحبّه مطلقاً. وهل يسعني أن أرتكب مثل هذه الحماقة ؟ لقد أبصرتُ معظم شبان الدنيا يجثون عند قدميَّ بكل خضوع وامتثال، ويقدّمون لشخصي جزيل الاحترام والتبجيل والإذعان، ولم يتوصّلوا الى التأثير على فؤادي. هكذا فاز إبائي وازدرائي، واحتقرت كل من أحبّوني. بينما أنا أحب الرجل الوحيد الذي يحتقرني. لا، لا، أنا أعرف جيّداً أني لا أُحبّه، وليس لدي من حجّة لنبذه. وما أشعر به الآن ليس حباً. فما هو إذا ؟ ومن أين أتاني هذا السمّ الزعاف الذي يجري في عروقي بسرعة، ولا يدعني أرتاح لحظة واحدة ؟ أُخْرُجْ من قلبي أيّاً كنت، أيها العدو اللدود المتنكّر بمظهر الصديق المخلص. جابهْني علناً، وإن كنت في نظري أفظع وحش مفترس يتسلّط على غابات الدنيا بأسرها. فتخلّصني منك أشواكي وسهامي الفتّاكة. وانتم، أيها الأحبّاء، يا من تستحقّون كل إعجاب على حلاوة أناشيدكم التي، بما تحويه من سحر، تُلَطِّف أصخب الإضطرابات والمشاغبات. إقتربوا مني، من فضلكم، واجتهدوا أن تُدخلوا البهجة والمرح الى صدري الذي ضاقت به الأحزان وسحقه الهمّ والقلق.

الفاصل الخامس

كاليمان، وفيليس

كاليمان : قولي لي، يا فيليس، ماذا يعني الحب ؟.

فيليس : ماذا تعرفين أنت عنه، يا صديقتي العزيزة ؟.

كاليمان : قيل لي إنّ لهيبه أفتك من براثن الصقر والباشق، وإنّ عذابه آلم من أيّ كارثة مفجعة.

فيليس : أمّا أنا فقد قيل لي إنه أسمى عاطفة في الوجود، وإن الحياة بدون حبّ هي شكل من أشكال الموت.

كاليمان : فأي هذين التفسيرَيْن علينا أن نصدّق ونتّبع في حياتنا ؟.

من نصدّق ؟ وفي أيٍّ من الاثنين علينا أن نتوسّم خيراً أوْ شرّاً.

كاليمان وفيليس معاً : الحب هو السبيل الأصح، ومنه يتبيّن ما علينا أن نصدّق.

فيليس : ها هي « كلوريس » تنشد الحب في كل مكان، وتشيد بمآثره التي لا تُحْصَى.

كاليمان : بينما « أمارانْت » تزرف عليه الدمع أسفاً في كل مكان وزمان.

فيليس : اذا كان الحب مصدر كل هذه المشاكل والأحزان، لماذا لا يُحجم الجميع ع ن التعلّق به والتسليم لأهوائه.

كاليمان : اذا كان دِفْئه، يا فيليس، حافلاً بكل هذه الحسنات، لماذا يُحرَّم علينا مذاق عذوبته المستساغة ؟.

فيليس : لأيٍّ منهما علينا أن نميل ؟.

كاليمان : ماذا علينا أن نختار ؟ أشرّه أمْ خيره ؟ : كلتاهما معاً : الحبّ هو السبيل الأصحّ.
ومنه نتبيّن ما علينا أن نُصدِّق.

الاميرة (وهي تقاطعهما، تقول لهما) : تابعا السير وحدكما اذا شئتما. فأنا لا يتيسّر لي أن أرتاح هنا. ومهما كانت أناشيدكما حُلْوَة، فلا يسعها إلاَّ أن تضاعف قلقي وهمي.

الفصل الخامس

المشهد الأول

الامير، وأوريال، وموررون، وأكْلانْت، وسيثْتي

موررون : أجل، يا مولاي، هذا لم يعد مزاحاً. فقد أُقصِيتُ عن مكانتي لديه، وكان عليّ أن أتدارك تدهوري بأسرع ما يمكن. ولا سبيل الآن لي الى رؤية أحد يتشفّى بإخفاقي نظيرة في تحقيق آمالي.

الاميرة : كم أنا مدين لهذه الحيلة الغرامية، أيها الامير، فقد كشفتْ لنا سرّ التأثير على قلبه وعواطفه.

أوريال : مهما قيل لكِ، يا مولاتي، أَجْرؤ أنا أن آمل بتحقيق هذا الحلم الجميل. لكن، إذا كان ذلك يُعَدّ مني جسارة زائدة في تمنّي الحصول على سعادة هذا الزواج، وإن كانت شخصيتي ودولتي ...

الاميرة : دَعْنا من الدخول في متاهات هذا المشروع، أيها الامير. فأنا أجد في شخصك ما ستجيب أمنيات أبٍ نظيرك. ولو كنت تمتلك قلب ابنتي، لما خانك الحظ في هذا الوجود.

المشهد الثاني

الاميرة، والامير، وأوريال، وأَكْلانْت، وسينْتي، ومورون

الاميرة : عجباً. ماذا أُبصر هنا ؟.

الامير، نعم، ثمن زفافكما باهظ جداً. وأنا مستعد بكل طيبة خاطر لتلبية كل ما تحتاج اليه من طلبات.

الاميرة : إني أجثو عند قدميك، يا مولاي، لأَلْتمس منك منّةً. فقد عوّدتني دائماً على سماحة حنوّك الفائق. وأعتقد أني مدينة لك بالكثير من الألطاف التي جدت بها عليّ بدون حساب. وإذا كنت يوماً حفظت لي بعض المودّة، فأنا أرجوك اليوم أن لا تحرمني من حاجةٍ عزيزة على قلبي، وهي أن لا تصغي بتاتاً، يا مولاي، الى طلب هذا الأمير، وأن لا تمنحه يد ابنتك أَكْلانْت لتصبح شريكة حياة خصمي.

الامير : ولأيّ سبب، يا ابنتي، أنت تريدين أن تمنعي هذا الزفاف ؟.

الاميرة : لا لسبب إلّا لأني أكره هذا الأمير، وأريد، إن استطعتُ أن أُلْغي مشروعه هذا البغيض.

الامير : هل تكرهينه الى هذا الحدّ، يا ابنتي ؟.

الاميرة : لقد بالغ في احتقاري.

الامير : كيف ؟.

الاميرة : لم يجدني جديرة بحصر أمنيته في الإقتران بي.

الامير : وبماذا أغاظك تصرّفه هذا ؟ وأيّة إهانة تجدينها في هذا التفضيل الذي يحقّ له ؟.

الأميرة : هكذا احتقرني ولم يحبّني كغيره من الشبان. كان عليه أن يهواني وأن يترك لي الحق بأن أرفضه. فإنّ اختياره الآن سواي ليس إلّا ازدراء سافر بكرامتي، وإهانة موجّهة الى شخصي بإغفاله اياي على هذا النحو من الاهمال. الأمر الذي يُلحق بي العار، وقد اختار من بلاطك بالذات صبيّة أخرى لتُزفّ اليه وتصبح رفيقة عمره.

الامير : وأي سوء ينوبك من جراء ذلك ؟.

الاميرة : أنا أنوي، يا مولاي، وأُصرّ على الانتقام منه بسبب عدم إكتراثه لي. وبما أني أعرف جيداً أنه يهيم بحبّ أَكْلانْت، أريد أن أحول دون إتمام هذا الزواج، إنْ شئتَ، يا مولاي الكريم، لكي أحرمه التنعّم بحب صبيّةٍ غيري.

الامير : وهل تلحّين على بلوغ مرامك ؟.

الاميرة : نعم، يا مولاي، بكل تأكيد. واذا تسنّى له الحصول على ما يتوق اليه ستراني أموتي كمداً أمام عينيك.

الامير : هيا، يا ابنتي، اعترفي هنا بفضلٍ خطير، وهو أن هذا الامير قد فتح عينيك على حقيقة ناصعة ملموسة وهي أنك تحبينه رغم إنكارك هذا الواقع الأكيد.

الاميرة : أنا، يا مولاي ...

الامير : نعم، أنت تهوينه.

الاميرة : أتقول إني أهوى ؟ هل أنت حقاً تلصق بي هذه التهمة الباطلة ؟ يا إلهي، تبًّا لحظي العاثر. وهل يسعني أن أسمع هذا القول المغلوط بدون أن أموت قهراً ومذلّةً ؟ هل كُتِبَدَ عليّ أن أتدهور الى هذه الوهدة من الشقاء بما تتهمني به من حبّ هذا الإنسان الغريب الأطوار الذي طالما ازدرى به وتجاهل وجودي. لو كان شخص آخر سواك، يا مولاي، يتّهمني بأنّي أحبّه، لعرفت كيف أجابهه وأُجبره على التراجع عن تصريح غير الصحيح.

الامير : نعم، يا ابنتي، أُؤَكّد لك أنك لا تحبينه بل تكرهينه من كل قلبك. ومن جهة أخرى ترينني موافقاً على التماسك، وفي سبيل إرضائك، أرفض أن أزف اليه ابنة عمك الأميرة أَكْلانْت.

الاميرة : يا إلهي، ها أنتَ قد رددت اليّ حياتي، يا مولاي.

الامير : ولكي أُطَمْئِنَ أنا وأُطَمْئِنك أنت أيضاً الى أنه لن يقترن بها أبداً، ها أنا أُصرّ على زفّك أنتِ بالذات اليه.

الاميرة : هل تسخر مني، يا مولاي ؟ إنّ هذا الحلّ ليس ما يطلبه الأمير المخالف ويتلهّف الى تحقيقه سريعاً.

أوريال : اعذريني، يا مولاتي، على قلّة لباقتي في هذا الموضوع، وأنا أستشهد

بقول والدك الأمير في هذه اللحظة، لأني لم أطلب يدك في الماضي لتكوني شريكة حياتي. فإصرارك على موقفك الخاطئ غير مقبول. عليك أن تنزعي القناع عن وجهك، وأن تُظهري شعورك الحقيقي الذي استشفه من خلال نفورك ورفضك. وإن أردتُ أن أقدّم برهاناً لا يناسبني، سأكشفُ لعينَيْك حقيقة ميل قلبي، فأُعلن الآن صراحةً أني حتى هذه اللحظة لم أعشق صبيّة سواك: فأنت، يا مولاتي، تتهمينني بأني لا أهواك. وأنا لا أُنكر أنّ كل ما أظهرته لك من عواطفي كان مخالفاً تماماً لواقعي، وقد أوحى به اليّ إحساس خفي إتّبعته بطريقة صارمة لا تخطر ببال إنسان معتدل. وكان لهذه الخطّة ان تتوقف حتماً بدون شك، وأنا أعجب لدوامها مدّة وجيزة فقط. لأني في الحقيقة كدت أموت غماً، وكاد قنوطي من صدّك يقضي على حلمي الغالي، بالإقتران بك يوماً ما. ثم إن ما كنت أبذله من جهد لكبْت شعوري الحقيقي نحوك. فإنْ غاظك هذا الكتمان، يا مولاتي، فأنا مستعد أن أموت هذه الساعة في سبيل الإنتقام لكرامتك من عنادي المتجبّر. فما عليك إلّا أن تصدري قرارك جدّيّاً، وأنا فوراً يسرّني أن أُنفّذ حالاً حكمك الذي تعلنينه بحقّي لتعاقبيني.

الاميرة : لا، لا، أيها الامير. أنا لست مستاءة، لأنك عاكست رغبتي. وكم أنا مسرورة، لعلمي أن ما كان منك هو تصنُّع محض، ما دامت الحقيقة لا تختلف عما أحلم به أنا أيضاً وهو الاقتران بك.

الامير : اذاً، إتفقنا، يا ابنتي، على قبولك بهذا الأمير زوجاً لك.

الاميرة : أنا لا أعلم حتى هذه اللحظة، ماذا أريد فعلاً، يا مولاي. فامنْحني مهلة وجيزة لأفكّر مليًّا في الامر، وأرجوك أن تساعدني هكذا على جلاء الفوضى التي تعصف في رأسي علّني أرى بوضوح ما يجب عليّ أن أفعل بغية أن لا أندم في المستقبل على تصرفي المتسرّع.

الامير : عليك أن تستنتج، أيها الأمير، ما يعني هذا الكلام، وأن تبني عليه ما عليك بالتالي أن تفعله لحلّ هذه المشكلة الأساسية.

أوريال : سأنتظركِ، يا سيدتي، مدى ما تحتاجين اليه من الوقت لكي تتّخذي قرارك النهائي في تحديد مصيري الذي أضعه أمانةً بين يديكِ، حتى إن

حكمتِ عليّ بالأعدام. فأنا مستعد ان أقبله وانفّذه بدون أي إعتراض.
الأمير : تعال، يا مورون، هذا يوم الحسْم، وأنا على أتم الاتفاق والحبيبَيْن.
مورون : يا مولاي، سأكون أفضل ناصح في المرة القادمة، وسأحرص على عدم إبداء رأيي في مثل هذا الموقف الحرج.

المشهد الثالث

أريستومان، وثيوكْل، والامير، والاميرة، وأكْلانت، وسينتي، ومورون

الامير : اخشى، أيها الامير، أن لا يكون لصالحك اختيارك ابنتي كعروسك. ولكن هاتيْن الاميرتين يسعهما أن يُعزّيانك وينسيانك هذا الإخفاق الطفيف.
اريستومان : نحن نعرف جيداً كيف نختار ما يلائمنا، يا مولاي. وإذا كانت هاتان الأميرتان اللطيفتان لا تكرهان الشابّين، اللذين اختاراهما، يمكننا أن نعود اليك لعقد زفافيهما السعيدين اللذَيْن يصبوان اليهما.

المشهد الرابع

فيليس، وأريستومان، وثيوكل، والأمير

فيليس : يا مولاي، أعلنَتِ الإلهة فينوس منذ لحظة مباركتها بكل وضوح أمر تغيير ميل الأميرة في موضوع الحب والزواج. ها هم كافّة الرعيان والراعيات يظهرون بهذه المناسبة البهيجة فرحهم بالرقص والغناء. وإذا كنت لا تكره هذا المشهد السارّ سترى الفرح يعمّ الجميع في سائر أنحاء البلاد.

الفاصل السادس

تدور حلقات الرقص بين الرعيان والراعيات وترتفع الأصوات بانغام هذا النشيد :

تصرّفنَ بحكمة أيتها الرائعات المتباهيات
بسحر البهاء وقوّة الجاذبية في عيون الحسان
أَحْبِبْنَ، أيتها الراعيات
فقلوبنا مفتوحة للهوى
ومهما كان الانسان جبّاراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام
فكّروا أيها المحبّون، باكراً واقصدوا
ان تتبعوا الدروب المتبعة واطردوا
آفة التردّد منذ البدء فيبزغ فجر الحب
ومهما كان المرء جباراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام.

(تمّت)